مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

أرشيفو

ARCHIVO

العدد 1 - شباط/ فبراير 2016

ثقافة أرشيفية

المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون.. شاهد على تاريخ البلاد

غنى مونّس

تعدّ المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون تراثًا فكريًا وإنسانيًا وشاهدًا على المراحل التّاريخية التي شهدتها البلاد. ولقد قدم الطالب «حمادو آداما» دراسة في جامعة نجاونديري في الكاميرون، تناول فيها تاريخ هذه المخطوطات، وأسباب ظهورها مسلطًا الضوء على الطريقة التي أصبحت بها الأبجدية العربية قيد التّداول في نسخ هذه المخطوطات والعمل بها.

وأشار «حمادو آداما» إلى أن المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون برزت منذ منذ القرن الثامن عشر للميلاد. ويعود وجود هذه المخطوطات فيها إلى ما يمكن لنا تسميته بـ «التّبشير» الإسلامي وأيضًا النشاط التجاري للشعوب الأفريقية وكذلك المسافرين الأوروبيين القادمين إلى هذه البلاد، من أفريقيا الغربية.

وفي حين تشق الأبحاث حول هذه المخطوطات طريقها بين كثير من الموضوعات الأخرى، مع أنه لم يتم إلا تصنيف عدد قليل منها، إلا أن إعادة اكتشاف هذه المصادر لتاريخ الكاميرون، من الباحثين الشّباب، تشكل بادرة مشجعة في هذا المجال.

وأفاد «آداما» بأن كتابة هذه المخطوطات هي في الواقع تقليد بدأ مع حلول الخلافة الإسلامية في البلاد، إثر حرب قادها الأمير موديبو آداما دي يولا، الملازم الأول في جيش الشّيخ عثمان دان فوديو، مؤسس خلافة سوكوتو في نيجيريا حاليًا. وقد انتشرت من خلال المدارس القرآنية الموزّعة على طول الساحل، قبل دخول الاستعمار إلى هذه المناطق المتأثرة بالعرب والبربر.

كما أوضح بأن عدة أحداث تاريخية ساهمت في صنع هذا التّقليد المتمثل بكتابة المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون. وقد لفت انتباهنا عدة أحداث أبرزها وصول إدريس ألوما إلى البورنو في العام 1581 للميلاد.

وأوضح الباحث في دراسته أنه يشار بـ «عجمي» إلى كل ما هو بعيد عن الثقافة والتقاليد العربية. وهنا، يشير المصطلح إلى كل النّصوص المكتوبة بأحرف عربية، ولكن بلغات محلية مثل الفولفود أو الهوسا أو الكانوري. ويعود استخدام الأحرف العربية في استنساخ اللّغات الأفريقية إلى البدايات الأولى للإسلام في أفريقيا، حيث إن هذه التّجربة الأدبية بدأت بالنّسبة لشعوب السّاحل التّشادي منذ القرن السّادس عشر من جهة، لدى القبائل المجاورة للجنوب، ومن جهة أخرى، من خلال حركة الجهاد التي قادها الأمير موديبو، بناء على تعليمات الشّيخ عثمان دان فوديو دي سوكوتو (نيجيريا حاليًا) في العام 1806.

وأشار «آداما» إلى أن هذين العاملين شكلا مفصلًا مهمًا في تاريخ الكاميرون، حيث إنهما أدخلا الأبجدية العربية إلى الجهات الجنوبية من ساحل التّشاد، لتنتشر لاحقًا عبر المدارس القرآنية